بريطانيا في تشكيله ، بعد أن يئست من قيادات الجيوش العربية . وهذه جميعا كانت تنصح بعدم التدخل بالجيوش النظامية . والحقيقة كان موقف الجامعة العربية حرجا ، لم تجد أمامها على حد رأيها في ذلك الوقت الا طريقين هما تسليح الفلسطينيين نسبيا وتحضير جيش الانقاذ وادخاله فلسطين ليدافع عن البلاد ريثما تعتمد الجيوش العربية على دخول الحرب . ومن جهة اخرى ايهام هيئة الامم المتحدة ، ومنها بريطانيا والولايات المتحدة لتعدل عن قرار التقسيم وتؤجل تطبيقه لوقت آخر . غير ان مجرى الامـــور ومحاولات اقناع الحكومات العربية لتتدخل بقواتها العسكرية أدت الى تعديل الخطط وابعاد أهل البلاد الفلسطينيين عن أمور الدفاع عن مدنهم وقراهم ارضاء للملك عبدالله أو لغلوب باشا قائد جيشه . ورغم كل ذلك فان هذا لم يدخل الحرب وانما كان يطبق حدود التقسيم »(١٩) .

فالقصري يبرز أهمية العامل السياسي ويركز عليه اذ يرى ان الجامعة العربية استخدمت جيش الانقاذ كوسيلة « تظاهر بالقوة » . ولم تستخدمه كقوة فعلية ، واذا اسقطنا الفقرة المتعلقة « بقيادات الجيوش العربية ... التي كانت تنصح بعدم التدخل » ، لان هناك وقائع تشير الى غير ذلك(٢٠) فان الغرض من تشكيل الانقاذ كان مائعا وبعيدا عن أن يحقق ما انشىء من أجله ليس لعجز في الجيش نفسه بل لان الجامعة العربية نفسها لم تكن تنوي تحقيق الغرض جديا بل كانت تناور وتتظاهر ، اما لقناعة بعدم القدرة أو لتناقضات بين دولها أو لضغوط عديدة .

هذا ما يقوله قائد جيش الانقاذ وبعض ضباطه العاملين في الميدان . أما ما يقوله المقدم الركن شوكت شقير ـــ أحد اعضاء اللجنة العسكرية المشرفة على الجيش ـــ عن الغرض من تشكيله فيلخصه بما يلي : « ان المهمة الاساسية كانت مواجهة تحركات القوات اليهودية في المدن والقرى الفلسطينية والحيلولة دون تمكينها مـــن احتلال هذه المدن والقرى او السيطرة عليها ، والاستيلاء على المناطق التي تجلو عنها القوات الانكليزية وكذلك تأمين السلاح والمتطوعين العرب لمؤازرة الفلسطينيين في كفاحهم للحفاظ على عروبة فلسطين وذلك قبل أن تتدخل الجيوش العربية اثنـــاء فترة الانتداب . أما بعد ١٥/٥ فان الانقاذ مكلف بمشاركة القوات النظامية في مهماتها القتالية التي يكلف بهـــا ويصبح جزءا من القوات التي كان مفروضا فيها أن تحرر فلسطين »(٢١) .

هذا وقد يكون من المفيد أن نناقش بعض الآراء التي أصدرت أحكاما متجنية ظالمة على جيش الانقاذ وبعيدة عن الواقع وقد صورته على غير حقيقته ، وكانت لا ترى الا جانبا واحدا من الاحداث الجارية في فلسطين وفي المنطقة العربية . من هذه الاحكام ما يقوله كامل الشريف ـــ أحد قادة الاخوان المسلمين المصريين ـــ في وصف الانقاذ ، اذ يقول : « وحتى هذه السرايا التي أتعب القواد أنفسهم في اعدادها والانفاق عليها لم تأت بالنتائج المطلوبة ، اذ كانت ضعيفة الى أبعد الحدود في التدريب ، فوق ان افرادها كانت تنقصهم الروح المعنوية العالية ، اذ كانت غالبيتهم من العمال المتعطلين الذين ضاقت بهم سبل العيش في بلادهم ووجدوا الجهاد فرصة سانحة للكسب ، فما كادوا يدخلون البلاد حتى تعددت حوادث السلب والنهب والتهجم على الاعراض والمتاجر ... »(٢٢) .

وواضح ان في هذا الكلام ما هو أكثر من المبالغة وتحريف الحقائق ، ذلك ان الغالبية العظمى من أفراد الجيش لم تكن « تنقصهم الروح المعنوية العالية » ـــ بشهادة المصادر والمراجع الاجنبية والصهيونية ـــ ولا « كانوا في غالبيتهم من العاطلين ... » ان اقوال الشريف هذه تبقى على تجنيها وقسوتها مائعة وغير مبلورة وهي لا تحدد بوضوح الغرض من تشكيل الانقاذ ، ولكن مصطفى السباعي ـــ المراقب العـــام للاخوان المسلمين في سوريه ـــ يطرح اتهاماته بوضوح وجلاء شديدين فهو يقول :